محاضرة الأستاذة الدكتورة/ نادية محمود مصطفى

بعنوان

من جدالات العولمة: الأبعاد الثقافية الحضارية القيمية

الأربعاء الموافق ١٧ / ٣/ ٢٠٠٤م

تقديم أ.د. عبد الرحمن النقيب

تقديم أ.د. عبد الرحمن النقيب/

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، نرحب بكم في هذا اللقاء مع الأستاذة الفاضلة الدكتورة نادية محمود مصطفى، وهي أستاذ في العلاقات الدولية وغنية عن التعريف بأنشطتها، وكفاحها العلمي. وسيدور الحديث حول "**من جدالات**

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

العولمة: الأبعاد الثقافية الحضارية القيمية". والحديث حول العولمة حديث ذو شجون بما تفرضه علينا من قهر ثقافي وقهر قيمي، ولا ندري ما مقدار الصلابة التي يمكننا من مواجهة هذا القهر العولمي. من الناحية الحضارية نحن نزعم أننا أصحاب قيم وأصحاب ثقافة ليس من السهل اختراقها وإبادتها، ولكن هناك أمور كثيرة تجعل هذا الزعم أو هذا الإيمان في موقع اختبارات. ولعل حديث الليلة يساعدنا في تحديد موقفنا الثقافي والحضاري من العولمة، وماذا يمكن أن نفعل، وما هو موقفنا، والآن أدعو الأستاذة الدكتورة/ نادية مصطفي للحديث فلتتفضل.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

من جدالات العولمة
الأبعاد الثقافية الحضارية القيمية

الأستاذة الدكتورة/ نادية محمود مصطفى

بسم الله الرحمن الرحيم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد. في الواقع هذا المكان مركز الدراسات المعرفية، ومن قبل المعهد العالمي للفكر الإسلامي مكان عزيز على عقلي وقلبي ونفسي، وهذا المكان ٢٦ ب ش الجزيرة الوسطى، له تاريخ طويل معي منذ عام ١٩٨٥، في رحلة مشوار فكري وعلمي ممتد وأعتقد أن جهود المعهد والمركز وجهود من توالوا على إدارته منذ بداية الثمانينات حتى الآن جهود متصلة ومتراكمة، ومن وجهة نظري تمثل حصن من حصون مقاومة الإذابة والاستيعاب العلمي والفكري في هذه الأمة، ومن ثم وأنا اعتبر نفسي جزء من هذه العملية الممتدة، أخذت منها فيما أعتقد أكثر مما أعطيت حتى الآن. وفي هذه المناسبة أتوجه للأستاذ الدكتور عبد الرحمن النقيب بالشكر لتفضله الموفور بتقديمه لي ولهذا الموضوع الهام، وأشكر أ.د. رفعت العوضي على دعوتي، وأشكر حضراتكم على الحضور للاستماع إلى هذا الموضوع بعنوان "من جدالات العولمة: الأبعاد الثقافية الحضارية القيمية: رؤية إسلامية"

هذه الورقة التي كتبتها هي حلقة من حلقات اهتمامي بوضع العالم الإسلامي في النظام الدولي وتطور هذا الوضع بمراحل مختلفة، وأحد هذه المراحل هي المرحلة التي نعيشها الآن التي تسمى مرحلة ما بعد نهاية الحرب الباردة، مرحلة العولمة، مرحلة الهيمنة الأمريكية.

اهتمامي أيضًا بالموضوع لم يكن اهتمامًا من المنظور التقليدي؛ ينصب جل اهتمامه على الأبعاد الاقتصادية والسياسية والعسكرية فقط التي تتصل بوضع العالم الإسلامي في النظام الدولي والتحديات التي تواجهه، لكن اهتمامي الأساسي كان في الحقيقة من مدخل أو من زاوية الأبعاد الثقافية الحضارية المتصلة بهذا الوضع ودراسته، وما تمثله من تحديات.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

هذه الأبعاد قد يعتقد البعض أن أهميتها لا يمكن أن تغفل، ولا يمكن أن تكون في مرحلة من المراحل قد بعدت عن اهتمام المسلمين، واهتمام غير المسلمين في علاقتهم بالمسلمين. ولكن من زاوية تخصصي في علم العلاقات الدولية والعلوم السياسية اعتقد أن هذه الأبعاد حققت قفزة كبيرة للأمام الآن في اهتمامات الدراسات الاجتماعية والسياسية والدولية بصفة خاصة، ليس فقط من منظور المسلمين أو الإسلاميين الذين دائمًا يهتمون بهذه الأبعاد الثقافية والحضارية في دراساتهم المختلفة؛ حيث أنها من المفترض أنها تنطلق من منظور أو من إطار مرجعي إسلامي هو إطار ذو طبيعة قيمية في حد ذاته ويؤثر على ثقافة هذه الأمة، ولكن المهم أنها اتجاهات أخرى ومدارس فكرية أخرى، ومنظورات أخرى في نطاق دراسة الظاهرة الاجتماعية والسياسية والدولية بصفة عامة، حيث تركز بعمق في المرحلة الفائتة خلال العقد الماضي على دراسة الأبعاد الثقافية الحضارية في الظاهرة الاجتماعية بصفة عامة على نحو يمثل مراجعة لمسالك سابقة سبق أن اقتصرت على أبعاد مادية فقط في دراسات سواء على مستوى الأبعاد الاقتصادية والسياسية والعسكرية.

ماذا يقصد بالأبعاد الثقافية والحضارية؟:

الأبعاد الثقافية والحضارية، هي كل ما يتصل بمنظومات القيم والمعتقدات والرؤى والمدركات التي تشكل رؤية أمة وشعب للعلاقة بين الإنسان والكون والله، والتي تشكل أعراف وتقاليد، والتي تؤثر على سلوكه وعلاقته بالآخر، وهذه أمور لا تكون مفروضة، ولكنها تتولد وتنمو وتتطور من نطاق البيئة الخاصة لكل مجتمع ولكل أمة.

هذه الأبعاد الثقافية الحضارية برزت أكثر من بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر، فمنذ ذلك الحين ونحن نسمع مقولات عديدة عن قوى الشر وقوى الخير، عن الحملة الصليبية على المسلمين، عن تهديد المسلمين للغرب والحضارة الغربية، هذه المقولات ليست أمور جديدة على لغة العلاقات بين المسلمين وغير

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المسلمين طوال العقود الماضية، ولكنها قفزت قفزة كبيرة بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر، وصبغت أبعاد ثقافية وحضارية كثيرة.

الحديث عن تقسيمات العالم -أتكلم عن العلاقة بين حضارات وليست علاقة بين دول مثلاً أو أيدلوجيات تؤثر على مكونات للقوة- نتحدث الآن على أن البعد المعرفي والثقافي مكون للقوة وللتأثير مثل مكونات القوة الأخرى، ويعتبر محرك للسلوك، مثال على ذلك الولايات المتحدة الأمريكية في ظل الإدارة الأمريكية الراهنة –إدارة بوش- وهي إدارة يمينية محافظة، وفي ظل تحالفها مع اليمين الديني في الولايات المتحدة الأمريكية في ظل الأصولية المسيحية، تنظر للعالم برؤية معينة وتعتقد أن للولايات المتحدة الأمريكية دور ثقافي أو دور ثقافي وعقدي في العالم، وعلى الجانب الآخر هناك رؤية مختلفة للعالم من وجهة نظر الشيخ أسامة بن لادن الذي قسم العالم إلى فسطاطين، فسطاط الإسلام، وفسطاط الكفر، وعلى ضوء فهمه للواقع يفرض سلوكه الذي يركز عليه أضواء في جوانب مختلفة والذي تقابل هذه الرؤية على الطرف الآخر بالرفض وتنعت بالإرهاب الدولي، أو الإرهاب الإسلامي الدولي، هذه أمور كلها قفزت إلى السطح خلال الثلاثة أو الأربع أعوام الماضية بقوة، ولكنها كانت موجودة من قبل وليست وليدة أحداث الحادي عشر من سبتمبر، ولكن أحداث الحادي عشر من سبتمبر كشفت عنها بطريقة كبيرة وسلطت عليها الأضواء. أيضًا العولمة كشفت عنها وساهمت وبقوة في تجلية هذه الأمور وجعلها في بؤرة الأحداث.

معنى العولمة:

ما هي العولمة؟ وما هي الدلالات المرتبطة بها؟

العولمة يمكن التحدث عنها في ضوء ثلاثة مستويات:

١. عمليات وتجليات العولمة على الصعيد الثقافي والسياسي والعسكري هذا مستوى.
٢. المستوى الثاني يتحدث عن أيديولوجية العولمة.
٣. ومستوى ثالث يتحدث عن سياسات العولمة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

العالم الآن يشهد درجة كبيرة جدًا من التواصل والتداخل بين أجزائه عن طريق قوى وآليات عديدة على الصعيد الإعلامي ما بين الفضائيات، وعلى الصعيد المعلوماتي لدينا الشبكة الدولية للمعلومات، على الصعيد الاقتصادي لدينا ما يسمى انتقال رؤوس الأموال من خلال الشبكات الإلكترونية، لدينا فيما يتصل بالاقتصاد أيضًا ما يسمى بإنتاج المنتج الواحد في أكثر من مكان في العالم وتجميعه، لدينا انتقال الأموال بسرعة، تحرير التجارة الدولية. بالنسبة للسياسة هناك انتشار حوار ديمقراطي، انتشار الحديث عن حقوق الإنسان. إذن الحديث عن العولمة هو الحديث عن مرحلة جديدة من مراحل تطور العلاقات الدولية فيها قدر كبير جدًا من التداخل، والتشابك بين أجزاء العالم، وهذه ليست ظاهرة جديدة لأن العالم في مراحل تطوره السابقة كان يعرف درجات أو أخرى من درجات التشابك بين أجزائه تتصل وطبيعة كل مرحلة وتطورها التكنولوجي، وبالتالي هذه العولمة التي نعيشها الآن ليست إلا المرحلة الحالية من الظاهرة أي التداخل والتشابك بين أجزاء العالم. ولكن هذا الأمر قد يكون صحيحًا في جانب ولكنه ليس صحيحًا في جانب آخر نظرًا لأمرين يميزوا هذه العولمة الراهنة عن غيرها من قبل.

الأول: أنها في ظل الثورة المعلوماتية والتكنولوجية ووسائل الاتصال أضحى هناك اختراق الخارجي للداخلي، وتأثيره بدرجة كبيرة للخارج على الداخل، أضحت الدول حقيقية بلاد حدود، لم يعد مبدأ السيادة القومية والسيادة التقليدية واضحًا ومحترمًا، ولكنه تم النيل منه بطرق مختلفة، فليس هناك حاجة لاختراق جيوش لحدود دولة ولكن هذه ممكن أن يتم عبر مئات الأميال عن بعد فالتوازنات والأوضاع اختلفت فليس من الضروري أن تحتل أرض لدولة ما للاستيلاء على ثرواتها ولكن ممكن أن يحدث هذا. وليس من الضروري أن تحتل دولة ليفرض على شعبها ثقافة معينة أو نظام معين من التعليم أو قيم معينة، ولكن هذا يحدث من خارج الحدود وعن بعد وبطريقة كثيفة جدًا، والأخطر في هذه المرحلة الراهنة التي يعيشها العالم أن هذا الأمر لم يعد يقتصر على الأبعاد الاقتصادية والسياسية والعسكرية، ولكنها تمتد أيضًا للأبعاد الثقافية والعقيدية، والأخطر أيضًا أنها لم تعد

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

هذه الاختراقات أو التداخلات أو التأثيرات الخارجية التي تأتي من الخارج خاصة فيما يتصل بالبعد الثقافي قاصرة على النخب، ولكنها تمتد إلى قواعد عامة من الشعوب والمجتمعات ولذا أقول أن الاختراق الخارجي مختار بكثافة وعمق واتساع كبير.

ما الذي أريد أن أصل إليه بهذا التمهيد؟ العالم كله دخل دوامة الحديث عن العولمة بعد انهيار الاتحاد السوفيتي وبعد نهاية الحرب الباردة، مراكز القوة العالمية على فترات متتابعة تفجر نقاشاً حول موضوع أو حول ظاهرة وتعيد تصدير بكل النقاشات أو الظواهر إلينا، ونتلقفها نحن بالجدال والحوار الدائم والنزاعات والخصومات الداخلية دون أن يكون لنا يد أصلاً في نشأة تلك الظاهرة أو غيرها، فبعد نهاية الحرب الباردة كانت هناك موجة من الحديث عن النظام العالمي الجديد، وبعدها موجة الحديث عن العولمة، وبعدها موجة الحديث عن صراع الحضارات وحوار الحضارات، والآن لا اعرف ماذا ننتظر من جديد يأتي إلينا. ولكن ماذا يعني هذا من وجهة نظري؟ يعني أن العالم فعلاً يحدث فيه تغيير، والعالم فعلاً يمر ويشهد قوى تؤثر عليه بطريقة أو بأخرى، مراكز القوى العالمية تدير هذا وتعرف أين موضعها منه، وماذا تريد منه، وحين تطرحه نحن نتلقفه ونبدأ في دراسته والحديث عنه، ولكن الأهم هو أن نعرف مدلوله بالنسبة لنا وحجم تأثير تلك الظواهر أو المقولات على مصائرنا ومقدراتنا، مثال ذلك عندما ثارت موجة العولمة في بداية التسعينات انتقلت إلى دولنا العربية والإسلامية على مستوى مراكز البحث الأكاديمية أو الفكرية خصوصًا في مصر أعوام ٩٦، ٩٧، ٩٨ انشغلت تلك الأجهزة والمؤسسات الفكرية والأكاديمية وسخرت كل مواردها وطاقاتها لتنظيم لقاءات ومؤتمرات وندوات حول العولمة انصب اهتمامها على الصراخ والرفض والهجاء والذم فيما يسمى بالـ"العولمة"، بحيث عمم القول بأن جنوب الكرة الأرضية والعالم الإسلامي يرفضون العولمة، وهذا تعميم، والحق أقول أننا يجب أن نقوم بمقابلة كل ظاهرة أو مقولة بدراسات جادة وهادئة ومتزنة لتحديد ماهيته وحقيقة موقفنا منه. ولذا فحين ميزت في البداية بين أن العولمة

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عمليات، وأن العولمة أيديولوجيا، وأن العولمة سياسات، كان قصدي أن نعرف ما الذي يمكن أو يجب أن نعترف بوجوده، وما الذي يجب أن ننفذه.

الذي يجب أن نعترف بوجوده أننا نعيش في عالم مختلف، عالم مختلف مختلف، كل يوم يمر بنا يختلف عن الآخر بمعايير التقدم العلمي والاتصالي والمعلوماتي والتكنولوجي والتجاري والسياسي عبر أرجاء العالم، فمن خلال شبكات الانترنت توضع المحاضرات والندوات ويستمع إليها أي فرد في جميع أرجاء العالم في وقت واحد، العمليات في المستشفيات الكبرى في العالم تنقل لحظة وقوعها، عمليات الاغتيال التي تقوم بها إسرائيل وعمليات الطرد الجماعي للفلسطينيين، وعمليات بناء الجدار العازل يشهدها العالم كله في نفس اللحظة بطرق مختلفة وبقيم مختلفة. مما لا شك فيه نحن في عالم مختلف ولا يمكن أن أرفض العولمة وأرفض أننا نعيش في عالم مختلف. وهنا يأتي المستوى الثاني الذي يميز فيه العولمة كعمليات، كإجراءات، كظواهر على الصعيد السياسي والاقتصادي والعسكري وبين الأيدولوجيا التي تحكم هذه العولمة من الذي يعولم؟ وما الذي يتم عولمته؟ وما آليات هذه العولمة؟ وفي يد من؟! نستطيع أن نقول أنها ليست عملية إدارية تلقائية طبيعية، هي عملية منظمة محكمة تديرها قوى المركز العالمي بقيادة أمريكية على الأصعدة السياسية والعسكرية والاقتصادية والأخطر أيضًا الثقافية، ومن هنا حدث خلط لدى البعض بين العولمة وبين الأمركة فهذه نقطة.

المستوى الثالث هو سياسات العولمة، إذا كان هناك أيدلوجيا أو فكر يريد أن ينفذ على مستوى العالم فلابد له من طرق وطرائق للتنفيذ ومن هنا تأتي ما يسمى بسياسات العولمة. وهناك آليات في المجال الاقتصادي، وفي المجال السياسي، وفي المجال الثقافي يتم من خلالها محاولة تقنين قواعد تنطبق على إدارة ظواهر عديدة في العالم، فلدينات ما يسمى بمؤتمرات العولمة، ولدينا ما يسمى بمؤتمرات تحرير التجارة الدولية، لدينا ما يسمى بمؤتمرات حقوق الإنسان والديمقراطية في العالم، لدينا ما يسمى بمؤتمرات المرآة والسكان والتنمية، لدينا مؤتمرات مكافحة الجوع والفقر، مؤتمرات التنمية، وهكذا نستطيع أن نعدد عدد

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كبير من المجالات التي يتم تقنينها وفق قواعد عالمية، هي تسمى عالمية، ولكنها هي ليست بالمعنى الحقيقي بمعنى العالمية، ولكن تظهر فيها وصمة ثقافة وخصوصية قيم مراكز القوى العالمية في العالم، وتحاول أن تنقلها إلى كافة أرجاء العالم على أنها منتج عالمي، وعلى الجميع أن يقبل ويتعامل معها. ما يتصل بالمرآة والطفل والأسرة والمجتمع والسكان والنظم الديمقراطية هو دليل على ذلك، حتى أن تعريف معين للصحة (تعريف عالمي) يقتصر على الأركان المادية فقط، ولكن جند الله لذلك التعريف مجموعة ذات وعي بمعنى الثقافة الإسلامية والخصوصية الإسلامية وأهمية البعد الغير مادي في كثير من الأمور، كافحت وتصدت في مناقشات مضنية حتى أدخلوا (العامل الروحي) في مكونات تعريف الصحة.

هذه المستويات الثلاثة تعني أن هناك محاولات قصرية إجبارية إكراهية من خلال أساليب رخوة، وأحياناً غير رخوة. الأساليب غير الرخوة تعني الاتفاقيات الدولية، والمعونات واتفاقيات التبادل، وغير رخوة صعبة مثل استخدام القوة العسكرية مباشرة لتغيير الأوضاع، ومن خلالها يتم فرض أو استخدام مجموعة من القيم، وربما أضرب مثالاً على هذا وسوف تتذكرونه جيدًا "حول أفغانستان" فحينما ذهبت القوات الأمريكية إلى تحرير أفغانستان كان من أهم الدلائل التي يشار إليها في الإعلام الأمريكي، والإعلام الغربي كرمز على التحرير، أن الشباب يحلقوا لحاهم، وأن النساء سيرفعن الرداء التقليدي الخاص بهن، افتتاح دور السينما. طبعًا الوضع الذي كان عليه نظام الحكم في ظل (طالبان) ممكن أن يوجه إليه انتقادات كثيرة، وفي نفس الوقت تأتي القوة العسكرية للتغيير، وتصبح مؤشرات التحرير أن المرأة تحررت في أفغانستان، وأنا لا أعرف مما تحررت، حتى الآن الوضع كما هو عليه.

مرة أخرى أقول: هذه الأمور كيف تمثل لنا تحديًا في العالم الإسلامي؟ فإذا كنت بدأت بنقطة هي محاولة التميز بين مستويات لا نستطيع أن ننكرها بحكم العين والنظر والتدبر والعقل، ومستويات ممكن أن ننقدها ونحذر من مخاطرها ونحاول أن نرى كيف يمكن الوقوف أمامها مثل ما ذكرت بما يسمى بأيدلوجيا

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

العولمة وسياسات العولمة التي تحاول أن تفرض نموذجًا بطريقة قصرية وإجبارية.

تحديات العالم الإسلامي:

ولهذا انتقل لسؤال هام: ماذا يمثل لنا هذا التحدي في العالم الإسلامي؟ الأمة الإسلامية واجهت دائمًا مخاطر وتحديات منذ أن بدأت الرسالة، وهذه التحديات والمخاطر تنوعت ما بين مخاطر عسكرية، ومخاطر سياسية، ومخاطر أيضًا ثقافية تتمثل في رفض الرسالة ومقاومتها. ولكن حتى نغوص في تفاصيل التاريخ الإسلامي أستطيع أن أقول أنه لو نظرنا برؤية إسلامية لمنطلق الأمة ونطاقها المرجعي وتاريخها وفق واقعها وثوابتها، نرى أن الأمة تعرضت دائمًا للتحديات من الأنواع الثلاثة، السياسة، والاقتصادية والعسكرية، وأيضًا الثقافية. بمعنى أن الهجمة كانت على مرحلتين في التاريخ، مرحلة كان فيها العام الإسلامي في صعود حضاري وثقافي واجتماعي، ومرحلة كان فيها العالم الإسلامي في حالة تراجع على كافة المستويات. مرحلة التراجع الإسلامي بدأت منذ الهجمة الأوربية الحديثة على العالم الإسلامي أي منذ خمسة قرون، التي بدأت بالكشوف الجغرافية والالتفاف حول العالم الإسلامي واقتطاع أجزائه تدريجيًا، ثم الهجوم على القلب عسكريًا واحتلاله وتقسيمه ما بين القوى الاستعمارية، ثم بعد ذلك عملية الاستقلال السياسي لكن تلاها عمليات من التبعية الاقتصادية والثقافية للدول الإسلامية للدول الكبرى الغربية التي توالت على قيادة العالم. هذه عملية مستمرة، كان دائمًا الهدف فيها ليس فقط السيطرة على الأرض والثروة، ولكن أيضًا السيطرة على النموذج واستبداله. والعملية بدأت تدريجيًا حين بدأ الالتفاف الجغرافي والذي كان يصحبه دائمًا الجندي والتاجر والمبشر (أي الجانب العسكري، والاقتصادي، والثقافي)، وحين جاءت الهجمة المباشرة على القلب جاءت بالجيش والاقتصاد وأيضًا الوسائل الثقافية، لتؤثر على الثقافة بمعناها الواسع، فظهر الاستشراق، والتبشير، والمدارس الأجنبية، ومنظومة جديدة من الفنون والصحف وغيرها. كانت موجهة

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بالأساس إلى النخب، وهذه النخب توالى نموها وارتباطها بهذا النموذج الجديد والانتساب إليه والدفاع عنه والدعوة إليه.

أردت من هذا التقديم التاريخي أن أضع تسلسل طبيعي لما نحن فيه الآن أي ما سبق شرحه وهو العولمة.

ما الجديد في المرحلة الحالية؟ وما تمثله التحديات الخارجية على البعد الثقافي للأمة في مرحلة العولمة؟ ما الجديد فيها الذي يجعلنا نقول أن المرحلة الحالية من التحديات التي تواجهها الأمة بالرغم من مخاطر تحدياتها الاقتصادية ومخاطر تحدياتها السياسية، ومخاطر تحدياتها العسكرية، إلا أنها تقترب من بروز المخاطر التي تمثلها أيضًا التحديات الثقافية والحضارية؟ ما رؤيتي لهذا الأمر؟

كما قلت من قبل، التحديات الثقافية تعني منظومة القيم والمعتقدات والرؤى والأفكار السائدة. لكن المهم يجب أن نعترف أن هذه المنظومة لدينا في أمتنا قد أصابها الكثير من التشوهات والضعف والخلخلة. وأضحت في حاجة إلى التجديد، ولم يتمكن الآخر منا لسبب ضعف مادي فقط، ولكن أيضًا بسبب ضعف وتخلخل منظومة القيم لدينا. فإذا كنا ننطلق من رؤية إسلامية يجب أن نعترف بهذا، وإذا كنا ننطلق من رؤية مثلاً ماركسية نقول أن الضعف المادي الاقتصادي هو الأساس، وإذا كنا ننطلق من رؤية أخرى نقول أن الاستبداد السياسي أو ضعف الهياكل السياسية هو الأساس. ولكن إذا أردت أن انظر إلى الأمر من واقع خصائص هذه الأمة وإطارها المرجعي وثوابتها وتاريخها، فيجب أن أنظر إلى التفاعل بين الثقافي القيمي والمادي. الثقافي والقيمي كما قلت حين وقعت الأمة في براثن الاستعمار بالتدريج كان قد أصابها الوهن، وجرت محاولات عديدة لتجديدها. ولكن ما الذي تتعرض له هذه الأبعاد الآن في هذه المرحلة التي تسمى العولمة. أنا أرى أن هناك عدة أمور، منها أن التأثيرات الخارجية تهدف إلى استبدال منظومة القيم، على أساس أن النموذج المنتصر الآن في العالم على الأيدلوجية الشيوعية بلا حرب هو نموذج الغرب بقيادة أمريكية، نموذج حقق انتصاره العسكري والسياسي والاقتصادي والتكنولوجي -يبقى له ليحكم هيمنته ويؤكد انتصاراته بالفعل وأنه سيصبح النموذج المهيمن على العالم في ظل ما

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يسمى إمبراطورية أمريكية- أن يحكم هيمنته على البعد الثقافي القيمي. ربما ليس هناك في دول العالم -ودول العالم الإسلامي بصفة خاصة- مقاومة شديدة على الصعيد الاقتصادي والسياسي، بل هناك مقاومة شديدة على الصعيد الثقافي والقيمي لأنها لا تأتي من النظم، تأتي من المجتمع.

النقطة الثانية: أن هذه التحديات التي دخلت معارك من أجل إثبات هيمنتها، تعرف جيدًا أن هذه الهمينة ستتأكد بتحقيق الانتصار النهائي على الجانب الثقافي والعقيدي، وبالتالي هذه التأثيرات التي تمارسها من أجل إحكام الهيمنة لم تعد تقتصر على النخب بل أضحت تمتد إلى القاعدة كيف؟ وما السبيل؟

النقطة الثالثة: أن البعد الثقافي تهديداته مندمجة بقوة بالبعد الاقتصادي والبعد العسكري والبعد السياسي، أي لم يعد هناك فصل بين الأبعاد الاقتصادية والثقافية والسياسية والعسكرية فمن أجل فرض الهيمنة في المعركة النهائية أضحى التأثير ليس فقط على مستوى النخب فقط بل امتد ليشمل جميع طوائف المجتمع في تناغم شديد بين التأثيرات العسكرية والسياسية والاقتصادية والثقافية. مثال على ذلك، من أجل أن يحقق الاقتصاد الرأسمالي أهدافه يجب أن يكون هناك طاقة استهلاكية كبيرة، هذه الطاقة الاستهلاكية الكبيرة ترتبط بقيم نفعية كبيرة كيف تروج؟ تروج بدعايات. هذه الدعايات وأساليبها المختلفة مليئة ومشبعة بمنظومة قيم، والأغرب أنها لا تأتي إلينا من الخارج، ولكن من داخلنا، منظومات قيم عدم احترام الأسرة، عدم احترام الأهل، الاختلاط السافر بلا حدود وبلا ضوابط، المادية المفرطة والاستمتاع المفرط، استخدام المرأة كسبيل (سلعة) في الدعاية. هذه أمور جميعها أعتقد أنها في نفس الوقت التي تفتح فيها الأسواق للمنتجات والاقتصاد الرأسمالي، فيها ومن خلالها تبث منظومة قيم شديدة الخطورة على الإنسان كإنسان، والتكوين الإنساني القادر في مجتمعاتنا على المقاومة والإنتاج والصمود ولا يصبح مسخاً مشوهًا لنماذج مستوردة سلوكية وهكذا، ولا أتحدث عن الملبس ولاعن المأكل، أتحدث عن القيم والأفكار والروح والقدرة. مثال آخر، الحروب الأمريكية على أفغانستان وما جرى للعراق، الإنسان العادي لابد أن يشعر بالدونية، هذه القوة العسكرية الهائلة التي تضرب في مكان، وفي منتهى السهولة. هنا يؤكد أن العولمة

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

العسكرية والتفوق العسكري الغربي لم يكن فقط لتحقيق هدف عسكري، بل أيضًا لتحقيق هدف نفسي، ولذا سميت الضربات على العراق بضربات (الصدمة-الإفزاع)، فهذا يحدث خلل وشعور بالدونية وأنك لا تستطيع أن تقاوم هذا، والإعلام لعب دور شديد في حرب أفغانستان، وقبل منها حرب الخليج الثانية عام ١٩٩١ على التوالي، فيتولد القناعة لدينا في مدركاتنا في رؤانا أننا في وضع دوني، وأنه لا سبيل أمامنا على الإطلاق لمحاولة المقاومة، وهذا أمر حدث مع الاتحاد السوفيتي. فانهيار الاتحاد السوفيتي يفسر بعدة تفسيرات، خلل في التوازن العسكري، بالمشاكل الاقتصادية المترتبة على الفشل الشيوعي في الاقتصاد والإدارة، وهناك آخرون يفسرون هذا الانهيار بالبعد الثقافي والمعنوي، أنه مع الإطلاع المستمر للشعب السوفيتي على الإنجازات الغربية شعروا أنهم ليس بمقدورهم أن يغيروا أنفسهم إلا بالتماس النموذج الغربي الرأسمالي في التغيير.

هذه أمثلة تبين التأثير على البعد الثقافي والقيمي بمعناه الواسع، بمعنى السلوك والمعتقدات وفي نفس الوقت القناعة والشعور بالذاتية والخصوصية، تضرب بعمق بأساليب كثيرة اقتصادية وعسكرية وسياسية. وبالتالي هذه الأمور جميعًا تبين أن التحديات الثقافية الحضارية بمعناها الواسع التي تواجهها الأمة الإسلامية والتي تأتي من الخارج مصحوبة بآليات وتجليات العولمة وتفاعلاتها وأنها ذات خطورة كبيرة على أمور متصلة مثلاً بقيم الأسرة والأمومة والمجتمع. نحن لا ننكر أننا لدينا مشاكل عديدة في مجتمعاتنا ونحن في حاجة إلى تجديدها، ولكن نحن بحاجة إلى تجديدها من واقع ذاتيتنا وبدون انغلاق على الذات، بل التعامل مع الآخر على أن يكون لدينا مصفاة من قيمنا يمر منها كل ما يأتي به الآخر.

لكن كل ما سبق لا يعني أن الأمة كلها في مرحلة استسلام، ولكن هناك بوادر كثيرة للممانعة والمقاومة تتجلي مثلاً في العمليات الاستشهادية في فلسطين. فهناك ميزان قوة مادي مختل بين إسرائيل وفلسطين تمامًا كيف يمكن التغلب عليه، وهناك انطلاقًا من ثوابت وقيم وقناعات معينة هناك قدرة على الإبداع والابتكار وإيجاد سبل للمقاومة. فمثلاً الصين دولة من أكبر المنتجين في العالم،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولم يتأت ذلك من خلال قدرة الدولة فقط بل من جهد الأفراد وحافزهم لتحقيق قفزة إنتاجية لبلدهم، في الوقت الذي نجد مصر على سبيل المثال تقصر القدرة الإنتاجية المأمولة على الدولة واستثمارات الآخرين دون حفز المواطنين على المشاركة في ذلك ومحاولة الاعتماد على الذات.

مما سبق يؤكد أن العقدين الماضيين أوضحا أن هناك مخاطر على الأمة من تجليات العولمة، ومن أيدلوجية العولمة ومن سياسات العولمة، في وقت أنظمة الأمة أو أنظمة الدول في الأمة ليست واعية بهذه المخاطر، بقدر ما هي أضحت جزءًا منها ومن تنفيذها. وبعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر، ومنذ هذا الحدث وحتى الآن، نؤكد أن التحديات الحضارية الثقافية التي تواجهها الأمة قد وصلت إلى أقصى طاقاتها. وقد بينت هذه الأحداث أمرين منذ أن اهتم بها العرب والمسلمين، ومنذ بدأت آلة الحرب والاقتصاد والسياسة والثقافة الأمريكية تتحرك لإدارة ما يسمى الحرب الدولية ضد الإرهاب، وهي حرب تدار بأدوات مختلفة على أراضي المسلمين، مع إعلان دائم بأنه ليس هناك عداء للإسلام، ولكن عداء للمتطرفين المسلمين. فالمنطقة العربية الإسلامية في قلب العالم هي التي تتعرض الآن لعملية إعادة تشكيل خطيرة بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر حتى الآن، فالعملية ليست بدعة أمريكا بدأتها بعد ضرب البرجين، بل هناك مخطط مستمر وخطط معدة ومعلن عنها لكيفية مد النفوذ الأمريكي إلى العالم الإسلامي. هذا يظهر من مفردات خطابات بوش وإدارته لتفسير طبيعة الهجمة في أحداث الحادي عشر من سبتمبر (هجمة حضارية، هجمة لقوى الشر، هجمة على الحضارة الغربية، هجمة على الديمقراطية)، فتفسيره للحدث تفسير حضاري ثقافي، ورد فعل الولايات المتحدة الأمريكية هو استخدام القوة العسكرية ولكن بتناغم شديد مع أساليب القوة الاقتصادية (ما يسمى بتجفيف منابع الإرهاب) بتحطيم الموارد الاقتصادية للجمعيات الخيرية وهيئات الإغاثة الإسلامية ووقف تجميع الزكاة والصدقات، وأهم ما يميز ما يسمى بالأداة الثقافية، أن لها وجهان، وجه يحاول أن يحسن الصورة الأمريكية في العالم الإسلامي، ووجه يحاول أن يغير انطلاقًا من قناعة –وهي أيضًا دراسات وتصريحات وخطابات رسمية منشورة بما يسمى

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بالأدوات الثقافية- يجب أن نغير طريقة فهم وإدراك المسلمين والعرب حتى نأمن مخاطرهم. فليس فقط الجانب المادي لدى المسلمين والعرب في حالة يرثى لها، بل هناك مصدر خطر ومصدر تهديد، يتمثل في هيكلة الإسلام كدين، وفي طبيعة فهم المسلمين له، يجب العمل على تغييرها عن طرق تغيير نظم التعليم، عن طريق تغيير الخطاب الديني، عن طريق تغيير نظم التعليم الديني، وهذه ليست دعايات ولكن أمور عليها أدلة ولها برامج، ولعل ما يسمى مؤخرًا المبادرة الأمريكية للشرق الأوسط الكبير هي أكبر التجليات على هذا، هي البوتقة التي صبت فيها كل الوصفات الأمريكية لعلاج الداخل العربي والمسلم من خلال تواجد أمريكي، في كل بقعة، في نظم التعليم، في الإدارة، في السياسة.

نحن ندرك جيدًا أننا في حاجة ماسة إلى التغيير، ولهذا يثار جدل كبير بين الدوائر المثقفة والرسمية والفكرية هل يكون التغيير وفق الوصفة الأمريكية؟، أم للتغيير وفق الوصفة الذاتية؟. وبعد أن كانت الحكومات والنظم تتبنى الوصفات الأمريكية في كل ما يتصل بحل الصراع العربي الإسرائيلي، في الاقتصاد العالمي، والتجارة العالمية، أضحت الوصفة الأمريكية الآن المطروحة تجد رفض من النظم والحكومات لأن فيها جزء هام وأساسي، وهي مقولة تداول السلطة، ولا تبقى الأنظمة الحاكمة مسلطة على الشعوب دون أمل في تبادل سلمي للسلطات.

ولعل هذه النقطة هي الأساس في رفض هذه الوصفة الأمريكية، ونسمع الآن في عدد من التصريحات الرسمية على ضرورة التمسك بالهوية والخصوصية والذاتية، وليست الأنظمة ... القومية وتحدث بخطاب ديني أكثر تشددًا من الإسلاميين أنفسهم حينما تعلق الأمر بالتغيير السياسي، وكان هناك تهكمات وتعجب، ما هذه الهوية والخصوصية التي تتحدثون عنها في عالم العولمة؟ حين كان القوميون والإسلاميون يتحدثون عن ضرورة الحفاظ على الهوية والقومية، فأصبحت الخطابات الرسمية الآن على الساحة العربية وعلى الساحة المصرية، في مجلس الشعب، وفي مكتبة الإسكندرية، وفي جميع المحافل، تتحدث عن أن خطة الإصلاح يجب أن تنطلق من خصوصيتنا وهويتنا، ونحن معهم في هذا، ولكن المهم صلاح النيات.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أخيرًا أختتم وأقول: أن جدالات العولمة، ثم جدالات ما بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر كشفت وأكدت على توالي عمق ما وصلت إليه أزمة المسلمين في عصر العولمة، وفي عصر الهيمنة الأمريكية على نحو أضحت معه الحاجة ماسة للبحث عن مؤشرات للممانعة والمقاومة في مقابل دعوات الانهزامية باسم العقلانية والرشادة والواقعية حفاظًا على مصالح قطرية ضيقة. إن عالمنا الإسلامي في عصر ما بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر وليد عصر العولمة وأقول أن الحادي عشر من سبتمبر هي وليدة عصر العولمة كيف؟ كيف تمت أحداث الحادي عشر من سبتمبر؟ تمت بطرق تكنولوجية متطورة جدًا هي نتاج عصر العولمة، وتمت بقوى غير تقليدية، أفراد ينتمون إلى منظمات أصولية - حسب زعم الغرب- لا يرتبطون بدولة واحدة، يمثلون ظاهرة عولمية، دوافع هذا العمل أيًا كان منفذه مرتبطة بطبيعة السياسات الأمريكية العالمية الساعية إلى الهيمنة على العالم، وانعكاساتها على جميع أرجاء العالم بما فيها الداخل الأمريكي. الداخل الأمريكي به يمين قوي يرفض انفتاح المجتمع الأمريكي ووجود مهاجرين من أصول عربية وإسلامية ولاتينية، يمين أمريكي متطرف يرفض ممارسات الدولة الأمريكية ويرفض الدولة الأمريكية نفسها، فأقول على الرؤى الإسلامية في عصر ما بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر -هذا الحدث الذي هو وليد عصر العولمة- فريضة وضع أسس فكر المقاومة وفكر الحق، ولعل من أهم المنطلقات التي يجب أن تحكم تشكيل هذه الرؤى ومخرجاتها ما يلي:

١. كيف علينا ألا نعتبر العولمة قدرًا محتومًا لإفكاك منه.
٢. ثم كيف يجب أن نجعل تاريخ الحادي عشر من سبتمبر مبررًا لإدراكنا بأننا متهمون. وأن الولايات المتحدة الأمريكية في موقف رد الفعل والدفاع.
٣. وكيف نحرر مدركاتنا ومصطلحاتنا ومفاهيمنا فنستدعي مفاهيم التحرير- المقاومة- الاستعمار- العدوان في مقابل السائد الآن وهو الإرهاب- السلام- الآخر- الأقليات.
٤. كيف يجب عدم فصل الاهتمام بالبعد الحضاري الثقافي عن الأبعاد السياسية، وكيف نجمع بين أزمة العالم وأزمة الأمة وهذه نقطة هامة جدًا

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويجب ألا نقول أن السياسات وتحديات العولمة تقتصر علينا ولكنها تمتد للعالم كله بدليل أننا نجد القوة المناوئة والمناهضة للعولمة تنبع وتظهر في جميع أجزاء وأركان العالم متظاهرة ضد الممارسات العولمية بكل أبعادها ومتضامنة أحيانًا مع قضايانا كما حدث خلال ما قبل الحرب على العراق ومن خلال ما حدث قبل الحرب على أفغانستان ولكن يظل لهم دوافعهم ويظل لنا دوافعنا، ولكن لا مانع على الإطلاق أن نكتشف القواسم المشتركة بين كل المناهضين للعولمة.

ومن أجل هذا أؤكد على أهمية الجمع بين أزمة الأمة وأزمة العالم، فلا نقدم أزمتنا على أنها أزمتنا فقط، ولكنها أزمة العالم تأكيدًا على ما أضحى عليه وضع الأمة في العالم، وكذلك ضرورة الوعي، لأن ما بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر، والحرب على أفغانستان والحرب على العراق والحرب الضروس المستمرة والمتصاعدة ضد الشعب الفلسطيني ليست نقطة فاصلة جديدة في السياسة الأمريكية وفي تحالفها مع القوى الصهيونية، وهو الأمر الذي يجعل لنا أن يظل السؤال التالي مطروحًا من المسئول عن أحداث الحادي عشر من سبتمبر؟ ومن الذي خطط لها؟ ومن الذي نفذها؟ وكيف نفك هذا الاشتباك بين المفهومين الذائعين حوار الحضارات وصراع الحضارات؟ وتتضح لنا الشروط اللازمة لإجراء حوار صحي، نحن في حاجة لإجراء حوار مع الآخر، ولسنا في حاجة لننظر إلى الآخر نظرة صدامية، لأن هذه الرؤية ليست رؤية إسلامية. الرؤية الإسلامية تنطلق على–وهذا هو أساس العالمية في الإسلام- عكس العولمة من سنة التنوع والتعدد الحضاري والتعارف الحضاري في مقابل الرؤى الأخرى الواقعية التي تنطلق من الأبعاد الصراعية أساسًا. نهتم بإجراء الحوار ولكنه لا يكون حوار الاعتذار أو التبرير والاستسلام أو الدفاع، ونعرف جيدًا ما الظروف التي تفرز صراعًا آخرًا نحونا حضاريًا لأن الاختلاف بين الحضارات والأديان في حد ذاته لا يولد الصراع، ولكن هناك أمور أخرى هي التي تولد الصراع، وشكرًا لحضراتكم.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كلمة أ.د. عبد الرحمن النقيب/

شكرًا جزيلاً للأستاذة الدكتورة/ نادية مصطفى على هذه الإطلالة الواسعة حول العولمة وتحدياتها الثقافية والحضارية، وأنها تتسع –أي العولمة- لتشمل تحديات، وكذلك أضحت سياسية واقتصادية واجتماعية، أيدلوجية حاكمة، ومن حيث أنها سياسات تنفذ من خلال اختراقات ووسائل كثيرة ومؤتمرات، وتركيز على عملية الاستبداد الثقافي، ليس فقط على مستوى النخب، بل امتد ليشمل قطاعات عديدة من قطاعات المجتمع الإسلامي بل العالمي، ولكن سيظل السؤال قائمًا وملحًا: هل تصل الثقافة الإسلامية إلى مرحلة الميوعة والسيولة بحيث يمكن السيطرة عليها بالفعل، وتحويل الشعوب إلى حاضنين للثقافة الأمريكية تستوعبها قلوبهم وعقولهم، ولم تقتصر فقط على مظاهر خارجية وتقليد عابر، هذا ما ستشهده السنوات القادمة. والآن مع أسئلتكم وتعقيباتكم فتفضلوا.

مداخلة المهندس خالد محمد أحمد/

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أنا استمعت جيدًا لهذه المحاضرة القيمة وتساءلت د. نادية، ما هو السبيل؟ أعتقد أن السبيل يبدأ بتغيير الخطاب الديني تجاه قضايانا أولاً، وكذلك تجاه الآخر. فقد انهارت قيم أفراد المجتمع المسلم، وكذلك الإيمان بالقيم الحضارية في القرآن الكريم. ليس عندنا أنموذج حقيقي واقعي مفعل في حياتنا ليستدل به المسلم على كتاب الله والقيم الحضارية التي يحويها، والتي ساهمت في بناء الحضارة الإسلامية. فيجب أن يساهم علماؤنا في توضيح القيم الحضارية السامية الدافعة لإعادة بناء الأمة.

ثانيًا: حضرتك ذكرتِ أن الهيمنة الثقافية المفروضة علينا من الغرب، والذي يدعمها ضغط اقتصادي وعسكري، جعلت الإنسان العادي يشعر بالقهر ولا يرى في المستقبل أملاً في التغيير، ومما يساعد على ذلك سيادة قيم حضارية ونظم تعليمية غربية داخل الأمة الإسلامية تساهم في هذا الضغط والتغريب. في ظل ذلك الوضع أرى أنه واجب علينا كأفراد ومؤسسات مثل مؤسسات المجتمع المدني –الجمعيات الخيرية- الجمعيات الثقافية- الجميعات الإسلامية أن تعمل على إعلاء

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

القيم الحضارية الإسلامية وتفعيلها داخل منظومات مختلفة، وتعمل على توعية الناس بأهمية دورهم في النهوض بأمتهم في ظل هذه الهجمة الشرسة. وشكرًا لحضراتكم. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

مداخلة الأستاذ إبراهيم الدسوقي - معهد الدراسات التربوية - جامعة القاهرة/

بسم الله الرحمن الرحيم، بدايتي تنطلق من قول السفير الياباني للرئيس نهرو، بعد هزيمة اليابان في الحرب العالمية الثانية، حينما أراد الرئيس نهرو أن يواسي اليابانيين قال: إذا أرادت اليابان أن تعيد بناء نفسها مرة أخرى عليها بتدبر أمر الموارد الاقتصادية، وعدد له العديد من الأشياء الأخرى، فكان رد السفير الياباني عليه أنه حتى تستعيد اليابان قدرتها فالحل سيدي "الحل تحت القبعة". وكذلك نحن فالحل لدينا في الإسلام، فالهجمة علينا المقصود منها هو الدين الإسلامي، مهما تعددت المبررات والتعليقات، فعلينا أن ننتبه ونحاول أن نلملم أنفسنا للاستعداد لهذه المعركة الحضارية. وشكرًا.

مداخلة الأستاذة سهير عبد العال - مجمع البحوث الإسلامية/

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين وبه نستعين، الحقيقة أضم صوتي لصوت الدكتورة نادية في أهمية حوار الآخر للوصول إلى نقاط اتفاق تحمي مسيرة الحضارة الإنسانية، فالحوار هو أسمى معاني التعامل مع الآخر. كما أطالب بتفعيل دور مؤسسات المجتمع المدني في إظهار الوجه الحقيقي للإسلام والشخصية الإسلامية المتزنة والوسطية.

كما أطالب الاهتمام بتغيير المناهج لتواكب العصر الحديث، وتعمل على بناء عقول مفكرة منفتحة ولكن متمسكة بتراثها وعقيدتها، وتعمل على إعادة إحياء تاريخ الأمة المجيد. وشكرًا.

مداخلة الأستاذ مسعود/

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بسم الله الرحمن الرحيم، أشكر مركز الدراسات المعرفية على هـذه النـدوة بالفعل لسببين:

السبب الأول: أن الأستاذة الدكتورة نادية مصطفى أولاً قدمت نفسها على أنها تمثل رؤية إسلامية ذاتية تحاول أن تقرأ الواقع وتفسره من خـلال قواعـد تلـك الرؤية، لمحاولة إيجاد واقع بديل ينسجم مع ثقافة ومعتقدات الأمة.

السبب الثاني: أنها انسجمت لحد كبير مع الخطاب القومي، فحاولت أن توجد أرضية مشتركة بين ما هو إسلامي وما هو قومي وهذا طرح جديد على الخطاب الإسلامي. ومن خلال عرضها نجد أنها قدمت مسحًا جيدًا عن تجليـات العولمـة سياسيًا وثقافيًا واقتصاديًا. ولكن كان من الضروري أن تشير إلى البعد الإيجـابي والذي يتمثل في ثقافة المقاومة، وكذلك إلى المنظمات الأهلية والتي أخذت علـى عاتقها محاولة فضح مؤامرات الدول الكبرى تجاه الأمة ومحاولة بناء حائط الصد لتلك المؤامرات.. وشكرًا.

مداخلة الأستاذ عبد الله جاد محمد/

بسم الله الرحمن الرحيم، أرجو الإشارة إلى وزن الجماعات المناوئة للعولمة، لأن هناك بعض الآراء ترى أنها مجرد جماعات ليس لها وزن حقيقي، بالرغم من قدرتها على تنظيم مؤتمرات ومحافل دولية ضد مؤتمرات العولمة التي تساهم في تغيير الكثير من الثوابت لدى الأمم، وخاصـة أن كثيـرًا مـن توصـيات هـذه المؤتمرات مخالف لكثير من عقائدنا وثقافتنا –مثل مؤتمر بكين- وشكرًا.

تعقيب الأستاذة الدكتورة نادية مصطفى/

في الحقيقة أتفق كثيرًا مع ما ورد في التعليقات، مثل أين هي منظومة القـيم الحضارية التي يجب أن تستنبط من أصولنا الإسلامية، وأن نعمل على تفعيلهـا؟ حصار اللغات الأجنبية وتعلم اللغات الأجنبية وآثارها على مجتمعاتنا.

في الحقيقة مجتمعاتنا فصلت عن ثقافتها الإسلامية، فالمفاهيم عن المنظومات والقيم الحضارية معروفة ومتداولة بين أهل الاختصاص الشرعي أو الدراسـات

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الإسلامية، ولكن ماذا يعرف أبناؤنا في المراحل المختلفة من التعليم عن ثقافتنا الإسلامية؟ ليس هناك قنوات منظمة مرئية لهذا الهدف، ولولا أن الصحوة الإسلامية خلال عدة عقود مضت أوجدت بدائل مدنية وأهلية تحاول أن تستكمل هذه الفجوة التي لدينا ولدى أبنائنا، لما كان هناك أي معرفة بتلك القيم، هذه قضية خطيرة ومسئول عنها نظم التعليم، فكيف نعالجها؟ هناك جهود كثيرة يجب أن تبذل سواء من جانب الأفراد أو المؤسسات، وكذلك من المهم أن تتضافر الجهود بين الجمعيات المتناظرة التي تعمل في نفس المجال أو في نفس الهم.

لماذا مثلاً على مستوى العلوم الاجتماعية لا تتضافر الجهود بين العلماء على مستوى العالم العربي، وكذلك بالنسبة لقضايا المرأة والطفل والأسرة، لماذا لا تتضافر جهود المؤسسات العاملة في تلك المجالات، فهذا أمر مدني ومجتمعي، لذلك فإن أهم منطلق لمواجهة التحديات هو الفرد والإنسان، بجهود مختلفة على جميع المستويات، ولا يجب أن ننتظر أن تقوم المؤسسات والحكومات الرسمية بذلك، وإذا قامت بجزء منه فخير، فإن لم تفعل وأفسدت فكل فرد مكلف، وبتراكم الدوائر تصبح الأمور أكثر تحسيناً، فنحن في حاجة إلى عمل مدني وأهلي وتطوعي بدرجة كبيرة ومنظمة وتوفر له قدرات وموارد كثيرة.

فيما يتصل باللغة، نحن نعرف أن اللغة هي عصب الثقافة، ثقافتنا العربية والإسلامية في محل خطر، إذا انهارت اللغة العربية، انهار البناء الحضاري والثقافي والإبداعي لأبناء الأمة الإسلامية. وقد أشار الدكتور علي جمعة-مفتي الديار المصرية- في محاضرة في برنامج حوار الحضارات، في كلية الاقتصاد، إلى أن الثابت الأساس الذي يجب الاهتمام به للحفاظ على الثقافة العربية الإسلامية في عصر تحديات العولمة هي اللغة وقد اتفق معه الكثير.

بالنسبة لتعلم اللغات الأخرى، هو ضروري لننفتح على العالم ونرى ماذا يقدم من جديد، ولكن أن تصبح اللغات الأجنبية هي اللغات البديلة للغة العربية، وتحوز من الاهتمام الكثير، وتشيد لها المؤسسات التعليمية المتقدمة التي لا تناظرها في الدولة المؤسسات التي تقوم على اللغة العربية، فهذا هو مكمن الخطر في الحقيقة، والكل يعترف به وينبه إليه.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المجموعة الثانية من المداخلات أبدأها بالأستاذ إبراهيم الدسوقي، نعم أن الحلول لا تأتي من خلال الموارد الاقتصادية فقط -ولكنها هي أيضًا مهمة- ولكن الشخص الذي سوف يحرك الموارد للاستفادة منها، أنا لا أريد أن أغفل دور الموارد المادية في التغيير.

أستاذ إبراهيم ذكر واقعة حفظ القرآن من النار في تفجيرات مدريد، أشد ما أخاف عليكم، سيادة القيم السلبية وخاصة أن ثقافتنا الإسلامية تشبعت بها واعتبرت من قيم الإسلام مثل التواكل والقدرية، وأخشى أن الحالة المستحكمة للأزمة التي تعيشها الأمة، تكون ساهمت في زيادة هذا الإحساس، ونرى بما أن الأمر استحكم فلننتظر فرج المولى، دون أي مبادرة للتغيير من جانبنا، فجميل أن اهتم بالعبادات بجانب حفظ القرآن، وفهم ثقافتي الإسلامية من أصولها، ولكن كيف تحول هذه الطاقة الإيمانية إلى طاقة عمل ولا تكون على الإطلاق طاقة تقاعس وخروج عن مجال الحركة والفعلية، وهذا قد يكون بخطورة التحديات والهجمة الشرسة من جانب القوى الكبرى، ومن مسئوليتنا نحن أساتذة الجامعة والمفكرين والباحثين أن نبين أن هناك منظومات قيم لا تنسب للإسلام وتدار باسم الإسلام، وهي ذات مضامين سلبية جدًا، بالنسبة للوعي والإدراك والقدرة على التغيير، هذا أمر مهم جدًا. وأحب أن أشير إلى نقطة هامة ففي الغرب ظهرت العديد من الكتابات حول شخصية صلاح الدين الأيوبي، وكانت تستغل تلك الكتابات بشقين: الشق الأول: أن الغرب ليس متحيزًا ضد العرب وأنهم يتحدثون عن شخصية أثرت في التاريخ، والشق الثاني: هو التركيز على أن المسلمين ينتظرون شخصية سحرية مثل صلاح الدين تخلصهم مما هم فيه، وهم يستبعدون ذلك لتغير الحال الآن مثلاً مع إسرائيل عما كان عليه الوضع أثناء الحروب الصليبية.

دور الأم في مرحلة العولمة مهم، في تنشئة الشباب، وتعريفهم بقضايا الأمة، فالأمية والفقر خطرين على تربية أطفالنا ومستقبلهم.

طبعًا الحوار مع الآخر ضروري، وتغيير نظم التعليم ضروري، ولكن النقطة كيف؟ في جامعة القاهرة والجامعات الأخرى في مصر، نظمت مؤتمرات

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لتطوير التعليم، والتوصيات والمقترحات والمشروعات كثيرة، وعليها انتقادات كثيرة، لكن مما شك فيه أن نظام التعليم في عالمنا العربي نظام فاشل.

الأستاذ مسعود ذكر أني انسجمت مع القومي، نحن في مرحلة خطيرة جدًا، تستلزم كما قال المستشار طارق البشري أن تتضافر جهود جميع روافد الأمة بأنواعها وأطيافها المختلفة وتحاول أن تجد قاسمًا مشتركًا بينها فيصبح لدينا رافد رئيسي يستطيع أن يقود عملية التغيير في مجتمعاتنا، وإلا سنظل ممزقين، ولهذا أحاول أن أجد قواسم مشتركة أردنا أم لم نرد، وأقرب الروافد في ظني قربًا من الرؤية الإسلامية الرافد القومي وخاصة ... الذي يعترف بالعلاقة بين الإسلام والعروبة وهذا يمثل أرضية مشتركة يسهل فيها إيجاد قواسم مشتركة خاصة فيما يتعلق بالأبعاد الثقافية والحضارية التي تعرضت لتغيرات كثيرة بسبب العولمة.

طبعًا لا أنكر على الإطلاق أن هناك لجان شعبية عديدة في مقاومة العولمة، وفي مقاومة التطبيع، وفي مناصرة قضية الشعب الفلسطيني، وفي مقاومة المشروع الصهيوني، وفي مناصرة الشعب العراقي، وهذا زخم كبير في المجتمع المدني المصري والمجتمع المدني العربي، ولكن للأسف مازالت لجان نخب، كما في منظمات حقوق الإنسان في مصر، مازالت منظمات نخب، ويجب أن تلتصق بالجماهير وبقضاياها وتعمل على إثارة الوعي لدى قطاعات المجتمع المختلفة بالمأزق الحضاري الذي تواجهه الأمة الإسلامية، وقد نجحت تلك المنظمات في إحداث أثر كبير في قضية مقاطعة المنتجات الغربية القادمة من دول مناوئة لقضايانا وتقف منها موقف الضد والخصم. وإن مازالت في واقع الأمر تواجه صعوبات جمة وعوائق كثيرة.

بالنسبة للجماعات المناهضة للعولمة في العالم موجودة وفعالة، ولكن الخطورة في أننا نتحرك من أرضية إسلامية، وقد تجد نفسك تشترك مع جماعات لها نفس الهدف ولكن تناقض منظومة قيمنا، فمثلاً المسلمين في أمريكا الذين يدافعون عن حريتهم المدنية، يخرجوا في مظاهرات جنبًا إلى جنب مع الشواذ، فلا يستطيعون أن يجدوا لأنفسهم معايير خاصة ومضطرين للخروج مع منظمات تخالف عقائدهم، وهذا يثير علامات استفهام كثيرة جدًا، فالمناهضين للعولمة ومنهم

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الشيوعيين ومنهم الفوضويين، يقاوموا الهيمنة الأمريكية على العالم وعلى النحو الذي يضير مصالحهم هم في أوربا أو في أمريكا، لكن عندما يتظاهروا من أجل الحرب على العراق، ليس حبًا في العراقيين، بل من أجل أمور أخرى خاصة بهم.

بالنسبة للجماعات تتعدد روافدها، فمنها المسلح ومنها غير المسلح، ولا نستطيع في تلك المحاضرة أن نرسم خريطة لتلك الجماعات. ولكني أستطيع أن أقول: أن بعض الجماعات تعتقد أن المقاومة في الانغلاق على ذاتها، وهذا الانغلاق على الذات، دون فهم أن الإطار الذي حولنا لم يعد حتى يسمح بالانغلاق حتى على الذات، فهذا الانغلاق على الذات، دون معرفة الآخر، يولد طبيعيًا لديك كره الآخر ورفضه. أمريكا تعي هذا الأمر، وعندما تعطي منح لزيارتها، تعطيها لمن لم يسافر إليها قبل ذلك، وكذلك لديهم برامج كبيرة جدًا على مستوى الشباب وطلاب الجامعات لسفر شباب من دول عربية وإسلامية إليها ليتعرفوا على منظومة القيم الأمريكية وطريقة الحياة الأمريكية، ويتضح لهم أن أمريكا ليست ذلك الغول الذي يتحدثون عنه، وفعلاً إذا ذهبوا هناك سيجدوا الشعب الأمريكي شعب ودود جدًا، ولكن هذا الشعب لا يدير السياسة الأمريكية الخارجية، فجل اهتمام الشعب الأمريكي الاقتصاد من أجل التعليم، والبطالة، والضرائب، والصحة ولا يهتم بالسياسة الخارجية، إلا إذا أثرت على هذه الأمور، وبدأ الآن يناهض الرئيس بوش، لأن سياسته الخارجية أثرت على الخدمات الصحية والثقافية والاقتصاد، ولكن هناك فرق كبير بين السياسات والهياكل التي تدير الشأن العالمي وبين الشعوب، وإشارة الأستاذة سهير إلى أهمية الحوار مع الشعوب مهمة، فقد أتت قوة إسرائيل من تلاقي مصلحتها مع أمريكا، وكذلك اللوبي اليهودي في أمريكا، فهو ليس منعزلاً عن المجتمع الأمريكي، بل هو في صميم المجتمع الأمريكي، فيهود أمريكا جزء من نسيجها الاجتماعي، فاللوبي اليهودي غير مصطنع، مثل محاولة العرب عمل لوبي عربي أو لوبي إسلامي، ولذا أدرك العرب والمسلمون أنهم يجب أن يكونوا جزءًا من نسيج هذا المجتمع، وبدءوا في تغيير طرق حياتهم، فهناك مسلمين وعرب سلبيين لا يشاركوا في السياسة ولا في المجتمع الأمريكي، ولكن شعروا الآن بسلبية تأثير ذلك عليهم، فبدءوا في تكوين

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مؤسسات وكذلك المشاركة السياسية، وعندما حققوا إنجازات ملموسة جاءت أحداث الحادي عشر من سبتمبر فقلبت الموازين. ومسألة التفاعل والاندماج تنبع من قيم الدين الحنيف والذي يمثل دعوة للعالمين وكل إنسان منا مكلف بها في كل زمان ومكان عملاً بقولة تعالى [ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ]، وأنا أعتقد أن الحوار هو دعوة، وفي نفس الوقت لا نهمل الاستعداد والعمل على تقوية اقتصادنا، وفي نفس الوقت لا يمكن أن نتخلى عن الحوار لأنه هدف وفي صميم الدعوة الإسلامية التي على كل فرد وإنسان مسلم مكلف بها وخاصة في فترة الأزمة التي نحن فيها. وشكرًا.

مداخلة الأستاذ أحمد عبد الرحيم - إمام مسجد بوزارة الأوقاف/

بسم الله الرحمن الرحيم، أرى أنه ليس هناك أي انفراج سياسي في الأفق، وليس هناك أمل في التغيير على المستوى القريب، ولا يظهر أمامنا إلا أسلوب الصدمة والرعب الأمريكي، فهل هناك أمل في انفراجة سياسية وتغيرية في الأجل القريب؟ وشكرًا.

تعقيب الأستاذة الدكتورة نادية مصطفى/

أظن أن التغير لن يأتي فجأة وبدون أن يبادر الناس بالتغيير أولاً، [إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ] (الرعد: ١١) وأن نغير خطابنا للآخر، فالبعض منا يخاطب المسيحيين بيننا بالكراهية، وكذلك خطاب إمام المسجد للناس يجب أن يؤكد على التغيير حتى على مستوى النظافة الشخصية والبيئية، وكذلك المساهمة في محو أمية الكثير من أبناء الأمة، وأن يهتم أستاذ الجامعة بعمله وتخريج أجيال فاعلة وكذلك الطبيب والمحامي والمحاسب فالكل يعمل على ثغرة يجب أن يدافع عنها.

نحتاج أن نخاطب الناس لمقاومة الظلم وأن يعمل كل فرد ما هو مطلوب منه، حتى نحقق الإسلام الحقيقي كما رآه الإمام محمد عبده رحمه الله في فرنسا.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مداخلة الأستاذ فتحية بدر/

بسم الله الرحمن الرحيم، تشير بعض المجلات الأمريكية إلى أن أحداث الحادي عشر من سبتمبر مدبرة من الداخل الأمريكي، لإيجاد المبرر للتدخل في العالم الإسلامي والاستيلاء على ثرواته وتغيير قيمه وثقافته، فما قولكم؟ وشكرًا.

تعقيب الأستاذة الدكتورة نادية مصطفى/

نعم هناك الكثير من الأقاويل التي أثيرت على الساحة بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر، ويشير إلى ضلوع الولايات المتحدة بشكل أو بآخر في تدبير أحداث الحادي عشر من سبتمبر. والبعض يؤكد ذلك لاعتبارين: الأول عدم تكوين لجنة للتحقيق في الأحداث إلا بعد مرور ثلاث سنوات والذي صدر تقريرها أخيرًا، والثاني من المتابعة للإنتاج السينمائي الأمريكي قبل الأحداث والذي كان يركز على المؤامرات الداخلية الأمريكية. ولكن مما ساعد على تأكيد إلصاقها بالعرب والمسلمين هو تبني أسامة بن لادن لها، ومباركته لمن قام بها.. المهم هل كانت الأحداث مسلك سليم، ومدى تأثيرها على العالم الإسلامي، وكذلك أحداث مدريد، جعلت العالم الغربي يراجع سياسته ويحاول التقرب مرة أخرى من أمريكا تجاه العالم الإسلامي. ليس معنى ذلك ألا نقاوم، ولكن كيف نقاوم؟ ومتى؟ وشكرًا.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com